المقدمة

– 1 –

لا شىء وراء اللغة، تلك الأداة التشكيلية التى تصنع العمل الأدبى بإبداعاته، وبكل مستوياته، وأشكاله، إنها – إذن – اللغة، ولكنها اللغة الوصفية الخاصة، وليست اللغة المعيارية (كما يُشير إلى ذلك موكا روفسكى).

والرواية جنسٌ أدبى له سماته المائزة، من حيث وجود عناصر متعددة تشكِّل ملامح هذا العمل، وتُعطيه شكله المقصود. وتتميز الرواية برحابةٍ معروفة، واتساع فضائى يشكَّل فى مساحات متعددة الأشكال. ولهذا كان الدرس التقليدى النقدى فى تناول هذه العناصر مجرَّدة، حيث تُدرس لشكلها فحسب، أو لتتبُّعها دونما النظر إلى أداة التشكيل التى صنعتها، وأوجدتها فى هيئاتها التكوينية، فكانت هذه العناصر المجرَّدة فى درسها التقليدى أشبه بخيوط العنكبوت (كما يقول آلان روب جيريه) نفسه.

– 2 –

ومع رحابه هذا الشكل الأدبى فإن الرواية – فى المقام الأول – عمل تصميمى؛ أى عمل يقوم على تصميم معمارى خاص، يقصده المؤلف نفسه، فالرواية قوة تصميمية، والتصميم لا يؤسَّس إلَّا على إبداع (كما يُشير سكوت إلى ذلك).. ومن هنا تأتى خصوصية تشكيل العمل الروائى رغم مساحاته الشاسعة، وعناصره الكثيرة المتعدِّدة، والمتداخلة كذلك. وأداة التشكيل – هنا – تقوم على اللغة الوصفية الإبداعية، وهى اللغة البلاغية فى مفهومها الجديد، أو فى مفهومها التشكيلى؛ وتأخذ هذه اللغة البلاغية سماتها بتعاملها الخاص مع عناصر الرواية المتداخلة المتشابكة، فأصبح درس هذه اللغة بكل أبعادها؛ مطلبًا ملحًّا فى الدرس الحديث،

فكان هذا البحث، الذى يُعَدُّ محاولة متواضعة لرؤيةٍ تسير نحو عمق الدرس فى الرواية، وكما يقول (**Woody**): «ليس هناك عمق بدون الطريق إلى العمل نفسه».

ولما كان هذا الأمر الباحث عن رؤية خاصة للدرس الروائى لا يقوم إلَّا من خلال الدرس التطبيقى نفسه، حيث المتن الروائى، وطرق التعامل معه.. فإننا قد اخترنا رواية لها استدعاءاتها الخاصة للدرس، تلك الرواية هى رواية «**الطوق والأسورة**» لـ(يحيى الطاهر عبد الله). وإذا كان العمل الأدبى يستدعى قارئه، فإن - كما تقول يمنى العيد - فإن هذه الرواية قد فرضت ذاتها للدرس التطبيقى، وذلك لما تمتلكه من إمكانات تعبيرية خاصة، حيث تمثِّل تكثيفًا بلاغيًّا له خصوصية معينة، فكاتبها القاص الذى عُرف بشاعريته القصصية فى دائرة إبداعه المتعددة المجال.

- 3 -

ولقد **جاء بحثنا هذا فى محورين ومحصّلات استنتاجية؛ الأول:** محور نظرى؛ اعتمد على مناقشة ودراسة نقاط معينة ننطلق منها للدرس التطبيقى، وهذه النقاط - مهما كانت - هى أولًا وأخيرًا تُعَدُّ نقاطًا افتراضية، وَلِمَ لا فحتى النظريات العلمية تقوم - فى أساسها - على كَمٍّ افتراضى.

إن الإبداع التعبيرى لا ينطلق من قواعد ثابتة دائمة، ولكن هذه القواعد نقاط لرسم طريق طويل يحتاج إلى جهد دائب.

وأما المحور الثانى: فهو حركية التطبيق؛ حيث الاعتماد على دينامية الإجراءات التطبيقية؛ انطلاقًا من الأُسس النظرية التى افترضت فى المحور الأول. وهنا تنداح الدائرة النقدية لتشمل المحورين: الأول والثانى.

ثم تأتى المحصلات الاستنتاجية؛ وهى ضرورة بحثية فى مثل هذه الدراسات التطبيقية.